بسم الله الرحمن الرحيم

شرح عنوان الحكم لأبي الفتح البستي

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد

[الشريط الأخير]

الطالب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فيقول أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي رحمه الله تعالى في منظومة (عنوان الحكم)

ولـــلأمـــور مَواقيـــتٌ مُـــقَـــدَّرَةٌ ...... وكُـــلُّ أمـــرٍ لـــهُ حَـــدٌّ ومِـــيـــزانُ
فلا تكُـــنْ عَجِـــلاً بـــالأمر تطلُبُـــهُ ...... فليـــسَ يُحمَدُ قبـــلَ النُّضْجِ بُحْـــرانُ
كفى مِنَ العيـــشِ ما قدْ سَدَّ من عَوَزٍ ...... ففيـــهِ للـــحُـــرِّ إن حققـــت غُنيـــانُ
وذو القَنـــاعَةِ راضٍ مـــن مَعيشَتِـــهِ ...... وصاحبُ الحِرْصِ إن أثـــرى فَغَضبْـــانُ
حَسْبُ الفـــتى عقلُـــهُ خِـــلاًّ يُعاشِرُهُ ...... إذا تـــحـــامـــاهُ إخـــوانٌ وخُـــلاّنُ
هُما رضيـــعا لِبـــانٍ حِكَمةٌ وتُقـــىً ...... وساكِـــنـــا وَطَـــنٍ مـــالٌ وطُغْيـــانُ
إذا نَبـــا بـــكريـــمٍ موطِـــنٌ فلَـــهُ ...... وراءهُ فـــي بسيـــطِ الأرض أوطـــانُ

الشيخ: نعم، بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ،أما بعد:

فهذه تتمة منظومة (عنوان الحكم) لأبي الفتح البستي رحمه الله تعالى، وقد عرفنا مكانة هذه الأبيات وحسن ما اشتملت عليه من حكم عظيمة ، ووصايا نافعة ، ضمنها رحمه الله تعالى أبيات هذه المنظومة ، وأتت أبياتها في الغالب كل بيت منها يحمل حكمة ، وتوجيها مسددا

قال رحمه الله

ولـــلأمـــور مَواقيـــتٌ مُـــقَـــدَّرَةٌ ...... وكُـــلُّ أمـــرٍ لـــهُ حَـــدٌّ ومِـــيـــزانُ

ينبه الناظم ، رحمه الله تعالى إلى مراعاة مواقيت الأشياء وأيضا حدودها ، وموازينها ، بحيث يزن المرء كل أمر ، بميزانه المناسب، وقته وحدّه وميزانه ، يراعي ذلك ، لأن الأمور إن لم توزن بموازينها ، ولم تعتبر فيها موازينها وقع الخلل ، فمثلا من حيث الوقت ، يقول (وللأمور مواقيت مقدّرة) إن لم تراع في الأمور مواقيتها وقع الخلل ، وكما قيل: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، فإذن هذا بيت فيه توجيه من الناظم ، رحمه الله ، لوزن الأمور بموازينها من حيث الوقت ومن حيث الحد، من حيث المكان كل أمر يعتبر في الأمور لابد أن يراعى إحجاما أو إقداما ، سواء كان المرء يريد الإقدام على أمر ، أو يريد إحجاما عن أمر ، لابد من مراعاة ما أشار إليه الناظم ألا وهو وزن الأمور بموازينها وحدودها وأوقاتها

ولهذا يقول بناء على ما سبق

فلا تكُــنْ عَجِــلاً بـــالأمر تطلُبُـــهُ ...... فليـــسَ يُحمَدُ قبـــل النُّضْجِ بُحْـــرانُ

(فلا تكن عجلا) العجل من الناس هو من لا يراعي مواقيت الأمور المقدرة فتراه يأتي الأمور بطيش وعجلة فيقع حينئذ الخلل والزلل

قد يدرك المتأني بعض حاجته *** وقد يكون مع المستعجل الزلل

فالأمور لابد أن تؤخذ بالأناة وبالرفق وعدم العجلة ، خاصة في الأمور التي لا تتضح للإنسان ولا تستبين له حدودها وموازينها لا يجوز له أن يستعجل ، ومن يستعجل في الفتن باتخاذ القرارات يَضل ويُضل الآخرين ، ولهذا يقول ابن مسعود رضي الله عنه (إنها ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة) التؤدة هي الأناة وعدم العجلة (فعليكم بالتؤدة فإنك أن تكون تابعا في الخير خير من أن تكون رأسا في الشر)

ولما تحدث علي رضي الله عنه عن الفتن وخطورتها قال (فلا تكونوا عجلا مذاييع بذرا) رواه البخاري في الأدب المفرد، عجُل من العجلة، مذاييع إشاعة الكلام دون تثبت ودون روية ، بذرا ، أي من يبذرون الفتن ويبذرون بذور الشر، فحذر رضي الله عنه من العجلة

(فلا تكن عجلا بالأمر تطلبه) أي إذا طلبت أمرا من الأمور ، تعرف على حده تعرف على وقته، تعرف على ميزانه تعرف على سبل تحصيله، ثم اسلك الطريق، سواء كانت الطريق طويلة أو قصيرة لا

تستعجل، تعرف أولا على الوقت الحد الزمان الطريقة تعرف على ذلك ثم اسلك الطريق بخطى واضحة ولا تستعجل شيئا قبل وقته

(فليس يحمد قبل النضج بحران) قالوا: بُحران هذه كلمة مولّدة ليست عربية وتستعمل في الطب ، قديما وهي تعني تغيّر المريض السريع ، يعني قبل النضج يحصل تغير ، مثلا مريض أخذ معه المرض ، شدة ومعاناة وألما، وفجأة قال أنا أحس أنني مرتاح تماما، التغير السريع يقال عنه بحران ، هذا يتخوف منه الأطباء لأنه قبل النضج ، فلا يحمدونه (فليس يحمد قبل النضج بحران) يعني هذا التغير السريع لا يُحمد بل يتخوفون منه ،لأنه جاء قبل النضج ، ذكر ذلك رحمه الله مثلا للتحذير من استعجال الأمر قبل أوانه

أضرب مثلا آخر لعله يوضح الأمر بشكل أوضح ، شخص يريد أن يبني بيتا من أدوار،لكنه متعجل جدا في البناء، ويريد أن ينتهي بسرعة ، إذا كانت العادة مثلا ينتهي هذا البيت في سنة، هو يقول أريد أن أنهيه في شهرين،بأي طريقة كانت ،المهم ينتهي، ثم يأتي على الأساسات بسرعة ولا يعتني بقواعد البنيان ، وأصوله ، والأمور المعتبرة فيه ، المهم اهتمامه كله منصب على أن ينتهي بسرعة، ينتهي بسرعة أو لا ينتهي؟ ينتهي بسرعة لكن هل يحمد؟ مجرد ما يسكن أو يسكن غيره ، يفاجَؤون بالخلل تلو الخلل، (فليس يحمد قبل النضج بحران) يعني الأمور قبل أن تنضج قبل أن تستوي قبل أن تأخذ مأخذها ، الصحيح فإنها لا تحمد، هذا في كل باب

ولما كان المثال الذي أورده يتعلق حول الطب في قوله (فليس يحمد قبل النضج بحران) الطبيب نفسه عندما يستعجل التطبب قبل أن يتقن العمل حرصا على ممارسة العمل، في وقت سريع يحمد ذلك أو لا؟ (فليس يحمد قبل النضج بحران)

كفى مِنَ العيـــشِ ما قدْ سَدَّ من عَوَزٍ ...... ففيـــهِ للـــحُـــرِّ إن حققـــت غُنيـــانُ

(كفى من العيش ما قد سد من عوز) أي يكفي الإنسان فيما يتعلق بقوته ، (العيش) وهو ما يقتاته الإنسان،ويحتاجه لقوته ، فيكفي (من العيش ما قد سد من عوز) أي سد من حاجة ، يعني يكفيه الشيء الذي يكون به قوته وغذاؤه وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام (من أصبح آمنا في سربه عنده قوت يومه معافى في بدنه فكأنما أوتي الدنيا بحذافيرها) عنده قوت يومه، فإذن يكفيه (ما سد من عوز) يعني ما يسد حاجته ، ما زاد عن ذلك فهو فضلة ، وزيادة، لكن الكفاية ما (سد من عوز) يقول عليه

الصلاة والسلام (عنده قوت يومه) أي طعام اليوم الذي هو فيه

قال (ففيه للحر إن حققت غنيان) الحر عرفنا المراد به ، وأنه المراد خيار الناس وأفاضلهم ، فالحر فيما سد من عوز (غنيان) أي يغنيه ويكفيه ، ويجد أنه مغنيا له وكافيا له، (ففيه للحر إن حققت غنيان) أي إن حققت في الأمر وتبصرت فيه ، وجدت أن الحر من الناس أي أهل الفضل والخير يعتبرون وجود قوت الانسان غنية وكفاية لأن ما زاد على ذلك فضلة

وذو القَنــــاعَةِ راضٍ مــــن مَعيشَتِــــهِ ...... وصاحبُ الحِرْصِ إن أثــــرى فَغَضبْــــانُ

(وذو القناعة راض من معيشته) يعني حتى وإن قلت ذات يده فهو راض عن معيشته، لأن الغنى غنى النفس،(وذو القناعة راض من معيشته) يعني حتى لو كانت أمورا قليلة فهو راض

(وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان) الشخص الحريص على الدنيا والذي ليس له قناعة حتى ولو كان ثريا ثراء فاحشا غضبان، ولو كان عند ابن آدم واد من ذهب ،لتمنى واديا آخر ، فذو الحرص (وإن أثرى غضبان)

حَسْبُ الفــــتى عقلُــــهُ خِــــلاًّ يُعاشِرُهُ ...... إذا تــــحــــامــــاهُ إخــــوانٌ وخُــــلاّنُ

(حسب الفتى) أي يكفيه عقله ، إذا كان صاحب عقل راشد وفهم ثاقب، حسبه

(عقله خلا يعاشره *** إذا تحاماه إخوان وخلّان)

إذا ابتعد عنه وتجنبه الإخوان والخلان يكفيه العقل، إذا كان صاحب عقل حصيف ورأي سديد

(حَسْبُ الفــــتى عقلُــــهُ خِــــلاًّ يُعاشِرُهُ ...... إذا تــــحــــامــــاهُ إخــــوانٌ وخُــــلاّنُ)

وذلك لأن صاحب العقل الصحيح حسن التدبير للأمور، وحسن المعالجة لها، وإتيانها من أبوابها ،والتعامل مع الأشياء، بخلاف من لا عقل عنده ، فهو ينبه بهذا البيت مكانة العقل السديد وأنه يكفي صاحبه بإذن الله سبحانه وتعالى

هُما رضيــــعا لِبــــانٍ حِكَمةٌ وتُقــــىً ...... وساكِــــنــــا وَطَــــنٍ مــــالٌ وطُغْيــــانُ

(الحكمة والتقى) متلازمان ، تلازما رضيعا لبان ،أي تلازم من رضع من ثدي واحدة ، تجمعهم الأخوة وتربطهم بالرابطة الوثيقة، وهذا يضرب به المثل في الأمرين المتلازمين، يقال عنهما ، رضيعا لبان كذلك

المال والطغيان هما أيضا رضيعا لبان أي متلازمان {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (7)}[العلق-6-7] فالمال يجر للطغيان، إلا من سلمه الله، هذا الغالب في المال أنه يجر صاحبه للطغيان ، إلا من سلمه الله تبارك وتعالى ووقاه

(وساكنا وطن مال وطغيان) يعني الحكمة والتقى رضيعا لبان وساكنا وطن ، وأيضا المال والطغيان رضيعا لبان وساكنا وطن ، بمعنى أن كلا منهما ملازم للآخر ، لا ينفك عنه

إذا نَبـا بـكريـمٍ موطِـنٌ فلَـهُ ...... وراءهُ فـي بسيـط الأرض أوطـانُ

(إذا نبا) كان في موطن ما فقلاه أهله ، وعادوه وأبغضوه أو ربما أيضا طردوه ،أو غير ذلك

إذا نَبـا بـكريـمٍ موطِـنٌ فلَـهُ ...... وراءهُ فـي بسيـط الأرض أوطـانُ

{أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً }[النساء-97]

فله (في بسيط الارض أوطان)

يا ظالمـا فرحـا بالعـزِّ ساعَـدَه ...... إن كنت فـي صلـة فالظهر يقظـانُ
ما استَمْرأ الظُّلْمَ لو أنصْتَ آكِلُـهُ ...... وهلْ يلَـذُّ مَـذاقَ المـرء خُـطْبـانُ
يا أيُّـها العَالِـمُ المَرضِـيُّ سيرَتُـهُ ...... أبشِـرْ فـأنـتَ بغَـيرِ المـاءِ رَيـانُ
ويا أخَا الجَهلِ لو أصبَحْتَ في لُجَجٍ ...... فأنـتَ ما بينَـهـا لاشَـكَّ ظمـآنُ
لا تحسَبَـنَّ سُروراً دائمـاً أبَـداً ...... مَـنْ سَـرَّهُ زمَـنٌ ساءتْـهُ أزمـانُ
[إذا جفـاك خليـلٌ كنت تألفـه ...... فـاطلب سـواه فكـل الناس إخوانُ
وإن نبَتْ فيك أوطان نشأت بهـا ...... فـارحـل فكـل بـلاد الله أوطـانُ]
يا رافِلاً في الشَّبابِ الرحب مُنتشِياً ...... مِـنْ كأسِهِ هلْ أصابَ الرُّشْدَ نَشْـوانُ
لا تَغتَـرِرْ بشَبـابٍ رائـقٍ نظِـرٍ ...... فـكَـم تَقـدَّمَ قَبـلَ الشّيْبِ شُبّـانُ
ويا أخَا الشَّيبِ لو ناصَحتَ نفسَكَ لم...... يكُـنْ لمِثـلكَ فـي اللَّـذاتِ إمعانُ
هبِ الشَّبيبَةَ تُبْدي عُذرَ صاحبِـها ...... ما عُـذْرُ أشيَـبَ يَستهويـهِ شَيْطـانُ
كُـلُّ الذُّنـوبِ فإنَّ الله يغفِرهـا ...... إن شَيَّـعَ المَـرءَ إخـلاصٌ وإيـمـانُ
وكُـلُّ كَسْـرٍ فإنَّ الديـن يَجبُرُهُ ...... ومـا لِكَسـرِ قَنـاةِ الدِّيـنِ جُبْـرانُ

[خذهـــا سوائـــر أمثـــالٍ مهذَّبـــةً ...... فيهـــا لمـــن يبتغـــي التِّبيـــانَ تِبيـــانُ]
[ما ضرَّ حسَّـــانَها والطبع صائِغُهـــا ...... إنْ لم يقُلْهـــا قَـــريـــعُ الشِّـــعرِ حَسّـــانُ]

يا ظالمـــا فرحـــا بالعـــزِّ ساعَـــدَه ...... إن كنت فـــي سنَةٍ فالظهر يقظـــانُ

هنا مقام تحذير من الظلم ،وبيان خطورته ، على صاحبه ، وأن العقوبة تحل به وإن تأخرت فإنها ستحل به، ولابد ،طال الزمان أو قصر، فيقول (يا ظالما فرحا بالعز ساعده) العز السلطان والحاشية والأتباع والأعوان ، إذا ساعدته هذه الأشياء على الظلم ، واستمرأ الظلم ، وأخذ يظلم هذا وذاك لأنه يساعده على الظلم ، العز الذي معه والسلطان والسطوة والقدرة، فيقول له تنبه (إن كنت في سنة) يعني في غفلة ،(فالدهر يقظان)، يعني عندما ينظر الإنسان في تقلب الأيام وتاريخ الأمم يدرك ذلك ، كأن الناظم يقصد هذا المعنى بقوله (فالدهر يقظان) أي من يتأمل التاريخ يجد فيه العبر ، فالعبر في تاريخ من غبر ،ينظر في التاريخ ويجد العبرة فيه

أما إذا كان المعنى (فالدهر يقظان) أي لك ولأمثالك ، وسيوقع بك الدهر نكالا أو كذا ، فإن كان هذا المعنى فهو معنى غير صحيح فاسد، لكن المعنى كأنه ينبه إلى أخذ العبرة، والعظة من التاريخ

ما استَمْرأ الظُّلْمَ لو أنصتَ آكِلُـــهُ ...... وهلْ يلَـــذُّ مَـــذاقَ المـــرِّ خُـــطْبـــانُ

يقول لا يستمرئ الظلم ، يعني لا يكون من يأكل الظلم، والمظالم ويجدها مريئة هنيئة، لو أنصف الإنسان في هذا المقام، لوجد أنه فعلا الظالم لا يستمرئ الظلم والظلم لا يُستمرأ وضرب على ذلكم مثالا في الخطبان ، الخطبان هو الحنظل عندما يجف ويصبح لونه إلى الاصفرار أقرب ،تشتد مرارته ، ويضرب به المثل في شدة المرارة، فمن الذي يطيق الخطبان ويستطيب طعمه ، وهو أشد ما يكون في المرارة فإذا كان الخطبان الذي هو الحنظل لا يلذ مذاقه أحد إطلاقا، فالظلم كذلك، لا يمكن أن يستمرئ الظلم آكله ، هذا إذا نظر الإنسان للأمر نظرة إنصاف، أما إذا نظر بنظرة مكابرة ومغالطة، فهذا أمر آخر

يا أيُّـــها العَالِـــمُ المَرضِـــيُّ سيرَتُـــهُ ...... أبشِـــرْ فـــأنـــتَ بغَـــيرِ المـــاءِ رَيـــانُ

هذا ثناء من الناظم، وبشارة للعالم مرضي السيرة، ومرضي السيرة هو الذي أكرمه الله بالجمع بين العلم

والعمل، علم نافع وعمل صالح ، فعنده علم وعنده أيضا سيرة حسنة وطيبة،فيقول مهنئا ومبشرا لمن كان بهذه الصفة، (يا أيها العالم المرضي سيرته أبشر) لك البشارة بكل خير في الدنيا والآخرة، مادمت تجمع بين العلم والسيرة الطيبة، (فأنت بغير الماء ريان)، ريان أي بما أتاك الله من علم وحكم وأخلاق وآداب ، وفضائل ، أنت بهذه المعاني العالية الرفيعة ريان حتى لو لم يكن عندك الماء

سبحان الله قرأت كلاما عجيبا لأحد المعاصرين ،كان على غير الإسلام، ويتنقل من دين لآخر، كلما دخل في دين لا يجد فيه بغيته، ثم ينتقل لآخر ، دخل في أديان عديدة ، حتى من الله عليه وأكرمه بدخوله للإسلام، ثم قال كلاما عجيبا معناه قال: إن البشرية كلها عطشى ، في أشد ما تكون حاجة للماء، وأنا كنت واحدا من هؤلاء العطشى وبحثت في الأديان ما يرويني ، فلم أجد ما يروي عطشي إلا في الإسلام ،هذا معنى كلامه ، فالشاهد أن الذي يكرمه الله بالعلم والعمل ومعاني الدين العظيمة تقوم في نفسه أخلاقا وآدابا وغير ذلك ،هو كما قال الناظم (ريان) ولو لم يكن عنده ماء يقصد أنه ريان بالمعارف الإيمانية والحقائق الدينية والأخلاق الفاضلة ، والآداب الكاملة

بخلاف الجاهل ولهذا يقول الناظم

ويا أخَا الجَهلِ لو أصبَحْتَ في لُجَجٍ ...... فأنــتَ ما بينَــهــا لاشَــكَّ ظمــآنُ

(ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج) أخا الجهل يعني صاحب الجهل ورفيق الجهل لو أصبحت في لجج أي لجج من الماء ، الماء من حولك من كل جهة (لو أصبحت في لجج فأنت ما بينها لاشك ضمآن) والمراد بالظمأ هنا الظمأ الذي تحدثت عنه قبل قليل ،وتحدث عنه ذلك المهتدي للإسلام ولا يروي هذا الظمأ إلا العلم النافع والعمل الصالح

ثم قال

لا تحسَبَــنَّ سُروراً دائمــاً أبَــداً ...... مَــنْ سَــرَّهُ زمَــنٌ ساءتْــهُ أزمــانُ

السرور لا يدوم ، الدنيا دار امتحان وابتلاء وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما (ما ملئت دار حبرة إلا ملئت عبرة) لابد ، الدنيا لابد فيها مثل ما قال الله سبحانه وتعالى {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) }[البقرة-155-156]، وفي الحديث يقول عليه الصلاة

والسلام (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) فهو ما بين سراء وضراء ،وشدة ورخاء فإذن ينبغي التنبه لذلك

(لا تحسَبَــنَّ سُروراً دائمــاً أبَــداً ...... مَــنْ سَــرَّهُ زمَــنٌ ساءتْــهُ أزمــانُ)

لكن المؤمن أمره كما نبينا عليه الصلاة والسلام كله خير في سرائه وضرائه، في شدته ورخائه في صحته ومرضه في غناه وفقره في جميع أموره وهذا لا يكون إلا للمؤمن

إذا جفــاك خليــلٌ كنت تألفــه ...... فــاطلب ســواه فكــل الناس إخوانُ

(إذا جفاك خليل كنت تألفه) إذا كان لك صاحب، وبينك وبينه صحبة قوية وجفاك، فاطلب سواه فكل الناس إخوان ، يعني اطلب رفيقا سواه، لكن مع مراعاة وملاحظة ما جاء في الحديث (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) وعبارة (كل الناس إخوان) فيها توسع، والأخوة أخوة الدين كما قال الله تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }[الحجرات–10] ، ويقولون الأخوة أخوتان ، أخوة دينية وأخوة طينية، الدينية التي يجمع ويربط فيها الدين الواحد دين الإسلام ، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[الحجرات–10] والأخوة الطينية أخوة النسب

وإن نبَتْ فيك أوطان نشأت بهــا ...... فــارحــل فكــل بــلاد الله أوطــانُ

هذا نظير قوله فيما سبق

(إذا نَبــا بــكريــمٍ موطِــنٌ فلَــهُ ...... وراءهُ فــي بسيــط الأرض أوطــانُ)

يعني لا ينبغي أن تضيق على الانسان به الارض إذا ضاقت في مكان ينتقل إلى مكان لعله يجد فيه رفقة أخيارا وأعمالا صالحا ومجالات انفع

يا رافِلاً في الشَّبابِ الرحب مُنتشِياً ...... مِــنْ كأسِهِ هلْ أصابَ الرُّشْدَ نَشْــوانُ

هذا تحذير للشاب المغتر بشبابه ولم يحسن الانتفاع بمرحلة الشباب ولهذا قال (منتشيا) أي معجبا مختالا لم يحسن الاستفادة من مرحلة الشباب، ومرحلة الشباب هي مرحلة تعد من أحسن المراحل من حيث القوة والنشاط والقدرة، ولهذا لما حث النبي صلى الله عليه وسلم على اغتنام العمر قال (حياتك قبل موتك) خص مرحلة الشباب بالذكر قال (وشبابك قبل هرمك) مع أنها داخلة في قوله (حياتك قبل موتك) لكن خص مرحلة الشباب بالذكر لأنها مرحلة عظيمة جدا، فهي مرحلة القوة والنشاط ، ومن

السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، من استغل مرحلة الشباب استغلالا صحيحا في طاعة الله (شاب نشأ في طاعة الله)

(يارافلا) يعني مختالا (في الشباب الرحب منتشيا من كأسه) أي يجد نشوة وزهوا وإعجابا بكأس الشباب ومغترا بذلك (هل أصاب الرشد نشوان؟) النشوان السكران ، يعني هل النشوان الذي هو السكران أصاب رشدا؟ بتلك النشوة؟ الجواب لا ، إذن ما هذه النشوة التي تجدها غرورا وإعجابا وزهوا وعدم الانتفاع بهذه المرحلة العظيمة من مراحل عمرك

ثم أخذ ينبه رحمه الله إلى أن مرحلة الشباب لا تدوم

لا تَغتَــرِرْ بشَبَـــابٍ رائــقٍ نظِــر ...... فــكَـــم تَقــدَّمَ قَبــَل الشّيْبِ شُبّـــانُ

يعني انظر إلى جميع كبار السن مروا بهذه المرحلة ، مرحلة الشباب ، وكانوا مثلك وربما أنشط منك ، ترى رجلا مسنا لا يتحرك إلا بعصا وجهد جهيد ربما لما كان في عمرك كان أنشط منك ، وأقوى منك

(فلا تغترر بشباب رائق نضر**** فكم تقدم قبل الشيب شبان)

يعني أن هذه المرحلة لها وقت وتنتهي ، الإمام أحمد رحمه الله له كلمة جميلة في هذا المقام يقول (ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط) يعني هي مرحلة سرعان ما تنتهي، ولو سألت كل رجل كبير سن عن مرحلة الشباب كيف مرت يقول مرت بأسرع ما يكون كلمح البصر سريعا ، فهي فعلا ستمر سريعا وتنتهي هذه المرحلة ولا تعود حتى لو تمنيت مثل ما تمنى الشاعر

ألا ليت شبابا بوع فاشتريته

ما أحد يبيع الشباب ولا اشتراه إذا انتهى، انتهى ، لكن الغنيمة في استغلال مرحلة الشباب قبل أن تضيع تلك المرحلة

وكلام الناظم جميل عندما قال (فكم تقدم قبل الشيب شبان) يحدث أحد الأفاضل ، أن أهله كانوا في الولادة فكان قلقا ، ورآه الطبيب قلقا قال له[لماذا تقلق؟ شوف الناس هذي اللي تمشي كلها اتولدو] كلمة جميلة قال [الناس هذي اللي تمشي كلها اتولدو] يعني مروا بهذه المرحلة مرحلة الولادة كل الناس هؤلاء الذين تراهم ، فذكرني بكلامه قول الناظم هنا كل الشيب أيضا كانوا شبان، كلهم مروا بهذه المرحلة

ويا أخَا الشَّيبِ لو ناصَحتَ نفسَكَ لم...... يكُـــنْ لمِثِـــلكَ فـــي اللَّـــذاتِ إمعان

ينصح هنا من كان في مرحلة الشيب وهو ممعن في اللذات، ليس مقبلا على الطاعات فينصح من كان في هذه العمر وهو بهذه الصفة ممعن في اللذات يقول له

(ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم*** يكن لمثلك في اللذات إمعان)

لماذا؟

يقول

هبِ الشَّبيبَةَ تُبْدي عُذرَ صاحبـــها ...... ما عُـــذْرُ أشَيـــبَ يَستهويـــهِ شَيْطـــانُ

(هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها) يقال شاب ونشيط وقوي ...الخ (هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها)

أنه شاب وفي ثوران الشباب وفي قوة الشباب ونشاطه

(ما عذر أشيب يستهويه شيطان) ولهذا جاء في الحديث (ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) وذكر منهم (الأشيمط الزاني) يعني كبير السن الذي يقع في الزنا، وقوعه فيه ليس شهوة عارمة ،دفعته ولم يسيطر على نفسه ولم يستطع أن يملكها ،وإنما فساد فيه ،وانحلال وانحراف

كُـــلُّ الذُّنـــوبِ فإنَّ الله يغفِرهـــا ...... إن شَيَّـــعَ المَـــرءَ إخـــلاصٌ وإيـــمـــانُ

وهذا بيت عظيم جدا في مكانة الإخلاص ،والإيمان وأن من كان من أهل الإخلاص والإيمان، فهو حري بأن تغفر ذنوبه {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }[النساء-48]

(فكل الذنوب فإن الله يغفرها) كما قال تعالى {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }[النساء-48]

(إن شيع المرء إخلاص وإيمان) شيعه أي صاحبه يوم يلقى الله سبحانه وتعالى لكن لو مات على غير الإخلاص والإيمان لم يشيعه إخلاص وإيمان فإنه لا مطمع له أبدا في مغفرة الله ، ولا سبيل له لنيلها ،ونيل رحمة الله ،بل ليس أمامه إلا العذاب الأليم والخلود الدائم ،في العذاب

ثم قال

وكُـــلُّ كَسْـــرٍ فإنَّ الديـــن يَجبُرُهُ ...... ومـــا لِكَســـرِ قَنـــاةِ الدِّيـــنِ جُبْـــرانُ

(وكل كسر فإن الدين يجبره) كل كسر يحصل للإنسان ، الدين يجبره ، (وما لكسر قناة الدين جبران)

القناة الرمح، وقناة الدين أي الإصابة التي تكون للإنسان في دينه ،هذه ليس لها جبران مثل ما قيل ، إن في تقوى الله خلفا من كل شيء وليس من تقوى الله خلف ، التقوى والدين وأمور الإسلام هذه ليس منها عوض ، إذا ذهبت ليس هناك شيء يعوضها ، لكن أمور الدنيا لها ما يعوضها ، يعني مثلا إنسان فقد مالا، فقد جزء من صحته ، يصبر ويحتسب ويرجو ثواب الله ، ويرجو من الله العوض فتأتيه أمور عديدة جدا في الدنيا والآخرة تعوضه عن هذا الذي فقده، لكن إذا فقد الدين أي شيء يعوضه؟ في فقده لدينه

(وكل كسر فإن الدين يجبره) أي كسر يصاب به الإنسان في ماله في صحته ،في أي مجال، الدين يجبره، يجبره بالأجر والثواب والمصائب كفارات في شريعة الإسلام

(و ما لكسر قناة الدين جبران) أي إذا كان الكسر في الدين نفسه فليس هناك أي شيء يجبره

ثم ختم هذه الحكم وهذه الأبيات بقوله

خذهـــا سوائـــر أمثـــالٍ مهذَّبـــةً ...... فيهـــا لمـــن يبتغـــي التِّبيـــانَ تِبيـــانُ

أي خذها أمثال عظيمة مجتمعة ملتئمة في مكان واحد صيغت بصياغة عذبة وكلمات حسنة جميلة ، يجد فيها بغيته من أراد التبيان والمعرفة بالحكم العظيمة النافعة

ثم قال

ما ضرَّ حسَّـــانَها والطبع صائِغُهـــا ...... إنْ لم يقُلْهـــا قَـــريـــعُ الشِّـــعرِ حَسّـــانُ

(ما ضر حسانها) أي ناظمها (والطبع صائغها) يعني أنها جاءت هكذا مثل ما يقال الشاعر المطبوع ، تأتي المعاني تنساب معنى تلو آخر

(إن لم يصغها قريع الشعر حسان) أي إن لم يكن قد صاغها سيد الشعراء حسان ابن ثابت رضي الله عنه

وهذا مراده ليس الثناء على نفسه ولا مدح شعره ،ولكن مراده أن ينتبه قارئ هذه الأبيات إلى المعاني الجميلة والحكم العظيمة التي تضمنتها هذه الأبيات

عرفنا أن ناظم هذه الأبيات توفي في القرن الرابع يعني وفاته كانت في عام **400** هـــ وقيل **401**هـــ

جاء بعده بقرنين شاعر توفي عام 600هـــ وهو أبو البقاء الرندي، وعلى إثر الأحداث العظيمة والمصيبة الفادحة التي حلت بالأندلس ، والمآسي المؤلمة فصاغ أبيات يصور ويحكي فيها تلك الأحداث الأليمة ، والمآسي التي حدثت في الأندلس وكيف حصلت تلك التحولات والتغيرات والنكبات تلو النكبات التي حلت بالمسلمين في تلك البلاد أخذ يصورها في أبيات لكنه صاغها على غرار هذه المنظومة ، وتداخلت بعض الأبيات من هذه الأبيات في منظومته ، أدخل بعض الأبيات أو شطر بعض الأبيات في منظومته وبدأها بقوله

لِــكُلِّ شَـــيءٍ إذا مــا تَمّ نُقصانُ *** فَــلا يُــغَرَّ بِــطيبِ العَيشِ إنسانُ
هِــيَ الأُمُــورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ *** مَــن سَــرّهُ زَمَــن ســاءَتهُ أَزمانُ

(من سره زمن ساءته أزمان) مرت معنا عند الناظم في البيت 53

لا تحسبن سرورا دائما أبدا *** من سره زمن ساءته أزمان

فعدد من أبياتها تداخلت مع هذه الأبيات وصاغها على وزنها وقافيتها ، لكنه حكى حقيقة أمورا مؤلمة جدا للغاية ، حصلت في تلك الأيام للأندلس

قال في خاتمتها

وَطفلَة مِثلَ حُسنِ الشَمسِ إذ برزت *** كَــأَنَّما هــيَ يــاقُوتٌ وَمُــرجانُ
يَــقُودُها الــعِلجُ لِلمَكروهِ مُكرَهَةً *** وَالــعَينُ بــاكِيَةٌ وَالــقَلبُ حَيرانُ
لِــمثلِ هَذا يَبكِي القَلبُ مِن كَمَدٍ *** إن كــانَ فــي القَلبِ إسلامٌ وَإِيمانُ

فتحدث عن مآسي مؤلمة جدا وهذه المآسي التي يتحدث عنها وجدت وقريبا منها في سوريا الآن ، في سوريا الآن حقيقة مآسي عظيمة جدا إلى أيامنا هذه الذين قتلوا بلغت أعدادهم عشرة آلاف، ومنهم أطفال رضع ،بالمئات ولا تسأل عن انتهاكات الأعراض والتعديات ، أمور مفجعة ومؤلمة جدا ومؤسفة للغاية، ومثل ما قال الناظم

لِــمثلِ هَذا يَبكِي القَلبُ مِن كَمَدٍ

حقيقة أمور مؤلمة ، وسبحان الله أنا لا أحسن الشعر ، لكنني أمس واليوم كتبت قصيدة وربما هي المرة الأولى في حياتي ، كتبت قصيدة على نفس الوزن وتحدثت فيها عن وضع سوريا والمآسي المؤلمة التي فيها إن رأيتها صالحة فيما بعد نشرتها وإلا دفنتها

وبلغت إلى الآن قرابة خمسين بيتا ولكن ليس الذي يفيد الكلام ، ونتجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء ، أن يلطف بهم وأن يجبر كسرهم ، وأن يحفظهم بما يحفظ به عباده الصالحين ، وأن يحفظهم من بين

أيديهم ، ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ، نسأل الله عز وجل أن يرد كيد أعداء الدين، وأن يجعل كيدهم في نحورهم ، وأن يجعل تدبيرهم تدميرهم ، نسأله جل في علاه أن يحفظ إخواننا في سوريا في أموالهم وأنفسهم وأعراضهم، نسأل الله عز وجل أن يحقن دماءهم نسأله جل وعلا أن يلطف بهم إنه جل وعلا سميع الدعاء ، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونسأله جل في علاه أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يردنا وإياهم إليه ردا جميلا، وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلا أنفسنا طرفة عين ،اللهم اغفر لنا ذنبنا كله، دقة وجله أوله وآخره، سره وعلنه ، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله إلا أنت اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى ن اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا

سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبيك محمد وآله وصحبه أجمعين

[تم تفريغ الشرح بحمد الله تعالى]

أخوكم أبو مالك إبراهيم الفوكي

-كان الله له-